

ثور وحمار معاً

يوجد سؤال شائع يحير الكثيرين في عملية اختيار شريك الحياة، أو شريك العمل، أو شريك الخدمة، أو حتى شريك السكن: هل أختار من يشبهني أم أختار من يختلف عني؟ في الواقع تتولد هذه الحيرة من كون التشابه والتقارب ضامنين قويين لدرجة معقولة من التفاهم والإنسجام، على حين يؤدي الاختلاف إلى تكميل النقص والتدرب على القبول المرن للآخر المختلف.

ومن الوصايا العجيبة في الكتاب المقدس تلك الوصية المكتوبة في ناموس موسى: **"لا تحرث على ثور وحمار معاً" (تث ٢٢: ١٠)**. فهل كتبت هذه الوصية من أجل ثور وحمار أم كما يقول بولس الرسول: **"ألعل الله تهمة الثيران. أم يقول مطلقاً من أجلنا. إنه من أجلنا مكتوب" (١كو ٩: ٩-١٠)؟**

من المعروف أن المزارع قد يستعين إما بالحمار أو بالثور في عملية حرث الأرض حيث يضع نير المحراث على أحدهما، أو على ثورين معاً، أو حمارين معاً. ومن المعروف أيضاً أن البنيان التشريحي لعضلات رقبة الثور وكتفه تجعله أقوى من الحمار وأكفاً منه في حمل نير المحراث وجره، إلا أن هذا لا يجعل منه الأسرع بالضرورة. بالتالي يكون وضع الثور والحمار معاً تحت نفس النير عملاً مجحفاً لا يراعي إختلاف البنيان والطباع والأمزجة مما يؤدي بالضرورة إلى تباين في مستوى الأداء.

وإن كان أمراً غير معلوم على أي أساس قسم المسيح رسله إلى اثنين اثنين عندما أرسلهم أمام وجهه، إلا أن الأمر المؤكد أنه لم يفعل ذلك بطريقة عشوائية طالما أن كل أعمال الله بحكمة صُنعت. فهل يا ترى قصد المسيح أن يضع محراث الخدمة على أزواج من الرسل متباينة أم أزواج متطابقة في الطباع والقدرات والمواهب والأمزجة؟

لقد اختار بولس الرسول أن يخرج إلى الخدمة مع سيلا دون مرقس الذي وقع عليه الإختيار من برنابا ليكون رفيقه. إلا أنه عاد وطلبه ليرافقه شاهداً عنه أنه: **"نافع لي في الخدمة" (٢تي ٤: ١١)**. أعتقد أن بولس كان يظن في البداية أنهما لن يستطيعا الخدمة معاً مثلما لا يستطيع الثور والحمار أن يحرثا معاً ثم أدرك بعد فترة أن وصية: **"لا تحرث على ثور وحمار معاً"** هي وصية المبتدئين السائرين في الميل الأول أما الذين أحنوا رقابهم للسير على دروب الميل الثاني فقد أدركوا جيداً أنه ليس فقط أمراً نافعاً بل إجبارياً أن يوضع النير على الثور والحمار معاً حتى يتعلم القوي أن يحتمل ضعف الضعيف بكل محبة واتضاع.

لعل هذا هو ما فعله الأنبا بيشوي عندما ارتضى أن يخفف من سرعة سيره للقاء الرب بأن يحمل الشيخ العجوز على كتفه فإذا به يلقي فيه الرب نفسه. بل هذا بعينه ما يفعله يسوع الذي يرتضي، بل ويسر، بأن يوضع نيره علينا نحن الضعفاء بينما هو القوي لكيما في محبته واتضاعه يحمل عنا ضعفنا ويهبنا قوته.